أبو دلامة

أعــلام الظرفــاء

أبو دلامة

هو زند بن الجون الاسدي، بالولاء،أبو دلامة، شاعر مطبوع، من أهل الظرف والدعابة، أسود اللون، جسيم وسيم. كان أبوه عبدا لرجل من بني أسد وأعتقه. نشأ في الكوفة ثم انتقل إلي بغداد، أدرك أبو دلامة آخر بني أمية ولم يكن له نباهة في أيامهم، ونبغ في أيام بني العباس، فانقطع إلى أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون نوادره.وكان يتهم بالزندقة لتهتكه، وأخباره كثيرة متفرقة، وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائة. رحمه الله تعالى، ويقال: إنه عاش إلى أيام هارون الرشيد، وكانت ولاية الرشيد في سنة سبعين ومائة.

ولم يصل لأحد من الشعراء ما وصل لأبي دلامة من المنصور خاصة وكان أبو دلامة فاسد الدين رديء المذهب مرتكبا للمحارم مجاهرا بذلك وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله. وكان أول ما حفظ من شعره وأسنيت له الجائزة به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم وفيها يقول:

(**أبا مسلم خوفتني القتل فانتحى ::: عليك بما خوفتني الأسد الورد**)

(أبا مسلم ما غير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد)

وانشدها المنصور في محفل من الناس فقال له احتكم فقال له عشرة آلاف درهم فأمر له بها فلما خلا به قال له أما والله لو تعديتها لقتلتك [1].

مواقف من حياته:

شهدت تسعة عساكر انهزمت كلها:

أمر المهدي أبا دلامة بالخروج نحو عبد الله بن علي،لكي يشهد

(1) أنظر: الشعر والشعراء، 2 / 776 - 778، طبقات ابن المعتز، 54 - 62، الأغاني، 10 / 247 - 273، تاريخ بغداد، 8 / 488 - 493، معجم الأدباء، 11 / 165 - 168، وفيات الأعيان، 2 / 320 - 327، نهاية الأرب، 4 / 36 - 47، البداية والنهاية، 10 / 134 - 135، شذرات الذهب، 1 / 249 - 250، سير أعلام النبلاء،7 /375.

الحرب معه، فقال أبو دلامة: أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تحضرني شيئاً من عساكرك، فإني شهدت تسعة عساكر انهزمت كلها، وأخاف أن يكون عسكرك العاشر، فضحك منه وأعفاه.

هب لي كلباً:

قال أبو العيناء: بلغنا عن أبي دلامة أنه دخل على المهدي فأنشده قصيدة، فقال له: سلني حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي كلباً، فغضب، وقال: أقول لك سلني حاجتك، فتقول: هب لي كلباً فقال: يا أمير المؤمنين، الحاجة لي أم لك قال بل لك، قال: فإني أسألك أن تهب لي كلب صيد، فأمر له بكلب، فقال: يا أمير المؤمنين، هبني خرجت إلى الصيد أفأعدو على رجلي فأمر له بدابة، فقال: يا أمير المؤمنين، من يقوم عليها فأمر به بغلام، فقال: يا أمير المؤمنين، هبني صدت صيداً وأتيت به المنزل فمن يطبخه فأمر له بجارية، فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء يبيتون في البادية فأمر له بدار، فقال: يا أمير المؤمنين، قد صيرت في عنقي كفاء من عيال، جريب غامراً، قال: أما العامر فقد عرفت، فما الغامر قال: الخراب الذي لا شيء فيه، قال: أنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب بالبدو، ولكني أسأل أمير المؤمنين من ألف جريب جريباً واحداً عامراً، قال: من أين قال: من بيت المال، فقال المهدي: حولوا المال وأعطوه جريباً، قال: يا أمير المؤمنين، إذا حول منه المال صار غامراً، فضحك منه، قال: فهل بقيت لك حاجة قال: نعم، تأذن لي أن أقبل يدك، فقال: ما لك إلى ذلك سبيل، قال: والله ما رددتني عن حاجة أهون علي فقداً منها[1].

يقولون ما لا يفعلون:

واتفق أن أبا دلامة تأخر عن الحضور بباب أبي جعفر أياماً ثم

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان،2 /321.

حضر، فأمر بإلزامه القصر، وألزمه بالصلاة في مسجده، ووكل به من يلاحظه في ذلك، فمر به أبو أيوب المورياني وهو إذ ذاك وزير أبي جعفر، فقام إليه أبو دلامة ودفع رقعة مختومة، وقال: هذه ظلامة لأمير المؤمنين، فأوصلها أعزك الله إليه بخاتمها، فأخذها أبو أيوب، فلما دخل على أبي جعفر أوصلها إليه فقرأها فإذا فيها:

ألم تعلموا أن الخليفة لزني ::: بمسجده والقصر، ما لي وللقصر
أصلي به الأولى مع العصر دائماً ::: فويلي من الأولى وويلي من العصر
ووالله ما لي نية في صلاتهم ::: ولا البر والإحسان والخير من أمري

وما ضره والله يصلح أمره.. لو أن ذنوب العالمين على ظهري فضحك المنصور وأمر بإحضاره، فلما حضر قال: هذه قصتك قال: دفعت إلى أبي أيوب رقعة مختومة أسأل فيها إعفائي من لزوم الذي أمرني بلزومه، فقال له أبو جعفر: اقرأها، قال: ما أحسن أن أقرأ، وعلم أنه إن أقر بكتابته لها يحده بذكره الصلاة وتعريضه بها، فلما رآه يحيد من ذلك، قال له: يا خبيث أما لو أقررت لضربتك الحد، ثم قال: لقد أعفيتك من لزوم المسجد، فقال أبو دلامة: أو كنت ضاربي يا أمير المؤمنين لو أقررت قال: نعم، قال: مع قول الله عز وجل:{يَقُولُونَ مَالَا يَفْعَلُونَ} [الشعراء: ٢٢٦]. الشعراء. فضحك منه وأعجب من انتزاعه، ووصله.

ونصف النصف في صك قديم:

وذكر ابن شبة في كتاب " أخبار البصرة " أن أبا دلامة كتب إلى سعيد بن دعلج - وكان يومئذ يتولى الأحداث بالبصرة - وأرسلها إليه من بغداد مع ابن عم له:

إذا جئت الأمير فقل سلام ::: عليك ورحمة الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلي غريم ::: من الأعراب قبح من غريم
له ألف علي ونصف أخرى ::: ونصف النصف في صك قديم

دراهم مـا انتفعـت بهـا ولكـن ::: وصـلت بهـا شـيوخ بـني تمـيم

فسير له ابن دعلج ما طلب [1].

ووفى له بما ضمنه أبو دلامة وزاد عليه:

وكان روح بن حاتم المهلبي والياً على البصرة، فخرج إلى حرب الجيوش الخراسانية ومعه أبو دلامة، فخرج من صف العدو مبارز قوي، فخرج إليه جماعة فقتلهم، فتقدم روح إلى أبي دلامة بمبارزته فامتنع فألزمه فاستعفاه فلم يعفه، فأنشد أو دلامة:

إني أعـوذ بـروح أن يقـدمني ::: إلى القتال فيخـزى بي بنـو أسـد

إن المهلب حـب المـوت أورثكـم ::: ولم أرث أنا حب الموت مـن أحـد

إن الـدنو إلى الأعـداء أعلمـه ::: مما يفـرق بـين الـروح والجسـد

فأقسم عليه ليخرجن، وقال: لماذا تأخذ رزق السلطان؟ قال: لأقاتل عنه، قال: فمالك لا تبرز إلى عدو الله؟ فقال: أيها الأمير، إن خرجت إليه لحقت بمن مضى، وما الشرط أن أقتل عن السلطان، بل أقاتل عنه، فحلف روح: لتخرجن إليه فتقتله أو تأسره أو تقتل دون ذلك، فلما رأى أبو دلامة الجد منه قال: أيها الأمير، تعلم أن هذا أول يوم من أيام الآخرة، ولابد فيه من الزوادة، فأمر له بذلك، فأخذ رغيفاً مطوياً على دجاجة ولحم وسطيحة من شراب وشيئاً من نقل، وشهر سيفاً وحمل، وكان تحته فرس جواد، فأقبل يجول ويلعب بالرمح، وكان مليحاً في الميدان، والفارس يلاحظه ويطلب منه غرة، حتى إذا وجدها حمل عليه، والغبار كالليل، فأغمد أبو دلامة سيفه وقال للرجل: لا تعجل واسمع مني - عافاك الله - كلمات ألقيهن إليك، فإنما أتيتك في مهم، فوقف مقابله وقال: ما المهم قال: أتعرفني قال: لا، قال: أنا أبو دلامة، قال: قد سمعت بك حياك الله، فكيف برزت إلي وطمعت في بعد من قتلت من أصحابك فقال: ما خرجت لأقتلك ولا لأقاتلك، ولكني رأيت لباقتك وشهامتك فاشتهيت أن تكون لي

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2 /322.

صديقاً، وإني لأدلك على ما هو أحسن من قتالنا، قال: قل على بركة الله تعالى، قال: أراك قد تعبت وأنت بغير شك سغبان ظمآن، قال: كذلك هو، قال: فما علينا من خراسان والعراق، إن معي خبزاً ولحماً وشراباً ونقلاً كما يتمنى المتمني، وهذا غدير ماء نمير بالقرب منا، فهلم بنا إليه نصطبح وأترنم لك بشيء من حداء الأعراب، فقال: هذا غاية أملي، فقال: ها أنا أستطرد لك فاتبعني حتى نخرج من حلق الطعان، ففعلا، وروح يتطلب أبا دلامة فلا يجده، والخراسانية تطلب فارسها فلا تجده، فلما طابت نفس الخراساني قال له أبو دلامة: إن روحاً كما علمت من أبناء الكرام، وحسبك بابن المهلب جواداً، وإنه يبذل لك خلعة فاخرة وفرساً جواداً ومركباً مفضضاً وسيفاً محلى ورمحاً طويلاً وجارية بربرية وينزلك في أكثر العطاء، وهذا خاتمه معي لك بذلك، قال: ويحك! وما أصنع بأهلي وعيالي فقال: استخر الله وسر معي ودع أهلك، فالكل يخلف عليك، فقال: سر بنا على بركة الله، فسارا حتى قدما من وراء العسكر، فهجما على روح، فقال: يا أبا دلامة أين كنت قال: في حاجتك، أما قتل الرجل فما أطقته، وأما سفك دمي فما طبت به نفساً، وأما الرجوع خائباً فلم أقدم عليه، وقد تلطفت وأتيتك به أسير كرمك، وقد بذلت له عنك كيت وكيت، فقال: ممضى إذا وثق لي؟ قال: بماذا قال: بنقل أهله، قال الرجل: أهلي على بعد ولا يمكنني نقلهم الآن، ولكن امدد يدك أصافحك وأحلف لك متبرعاً بطلاق الزوجة أني لا أخونك، فإن لم أف إذا حلفت بطلاقها لم ينفعك نقلها، قال: صدقت، فحلف له وعاهده، ووفى له بما ضمنه أبو دلامة وزاد عليه، وانقلب معهم الخراساني يقاتل الخراسانية، وينكي فيهم أشد نكاية، وكان أكبر أسباب ظفر روح.

لكم الأرض كلها فأعيروا ::: عبدكم ما احتوى عليه جداره

كان المنصور قد أمر بهدم دور كثيرة وكان من جملتها دار أبي دلامة، فكتب إلى المنصور:

يـــابن عـــم الـــنبي دعـــوة شـــيخ ::: قـــد دنـــا هـــدم داره وبـــواره
فهو كالماخض التي اعتادهـــا الطـــل ::: ق فقـــرت ومـــا يقـــر قـــراره
لكـــم الأرض كلـــها فـــأعيروا ::: عبدكم ما احتـــوى عليـــه جـــداره

فأمر له بدار عوضاً عنها[1].

ينخرق قميصي يا أمير المؤمنين:

ولما قدم المهدي بن المنصور من الري إلى بغداد دخل عليه أبو دلامة للتسليم والتهنئة بقدومه، فأقبل عليه المهدي، وقال له: كيف أنت يا أبا دلامة فقال: يا أمير المؤمنين:

إني حلفـــت لـــئن رأيتـــك ســـالماً ::: بقـــرى العـــراق وأنـــت ذو وفـــر
لتصـــلين علـــى الـــنبي محمـــد ::: ولـــتملأن دراهمـــاً حِجْـــري

فقال المهدي: أما الأولى فنعم، وأما الثانية فلا، فقال: جعلني الله فداك! إنهما كلمتان لا يفرق بينهما، فقال: يملأ حجر أبي دلامة دراهم، فقعد وبسط حجره فملئ دراهم، فقال له: قم الآن يا أبا دلامة، فقال: ينخرق قميصي يا أمير المؤمنين، حتى أشيل الدراهم وأقوم، فردها إلى الأكياس ثم قام فدعا له وخرج بها.

كلامك مسموع وشهادتك مقبولة:

ومن أخباره: أنه مرض ولده، فاستدعى طبيباً ليداويه وشرط له جعلاً معلوماً، فلما برئ قال له: والله ما عندنا شيء نعطيك، ولكن ادع على فلان اليهودي - وكان ذا مال كثير - بمقدار الجعل، وأنا وولدي نشهد لك بذلك، فمضى الطبيب إلى القاضي بالكوفة - وكان يومئذ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وقيل: عبد الله بن شبرمة - وحمل إليه اليهودي المذكور، وادعى عليه بذلك المبلغ، فأنكر اليهودي، فقال: لي بينة، وخرج لإحضارها، فأحضر أبا دلامة وولده، فدخلا إلى المجلس، وخاف أبو دلامة أن يطالبه القاضي بالتزكية فأنشد في الدهليز قبل دخوله بحيث

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2 /324.

يسمع القاضي:

إن الناس غطوني تغطيت عنهم ::: وإن بحثوا عني ففيهم مباحث
وإن نبشوا نبشت [1] بئارهم ::: ليعلم قوم كيف تلك النبائث

ثم حضرا بين يدي القاضي، وأديا الشهادة، فقال له: كلامك مسموع وشهادتك مقبولة، ثم غرم المبلغ من عنده وأطلق اليهودي، وما أمكنه أن يرد شهادتهما خوفاً من لسانه، فجمع بين المصلحتين وتحمل الغرم من ماله[2].

قد خدعانا والله:

ودخل أبو دلامة على المهدي، فقال: يا أمير المؤمنين، ماتت أم دلامة، وبقيت ليس أحد يعاطيني، فقال: إنا لله، أعطوه ألف درهم يشتري بها أمة تعاطيه، وكان قد دس أم دلامة على الخيزران، فقالت: يا سيدتي مات أبو دلامة وبقيت ضائعة، فأمرت لها بألف درهم، فدخل المهدي على الخيزران، وهو حزين، فقالت: ما بال أمير المؤمنين قال: ماتت أم دلامة، فقالت: إنما مات أبو دلامة، فقال: قاتل الله أبا دلامة وأم دلامة، قد خدعانا والله.

وخنزيراً إذا وضع العمامة:

وكان أبو عطاء السندي مولى بني أسد قد هجاه بقوله:

ألا أبلغ هديت أبا دلامة ::: فليس من الكرام ولا كرامة
إذا لبس العمامة كان قرداً ::: وخنزيراً إذا وضع العمامة

فلم يتعرض له أبو دلامة[3].

وكنا نرجي منحة من إمامنا:

وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم

(1) أي: وإن حفروا بئري حفرت.
(2) وفيات الأعيان، 2 /325.
(3) وفيات الأعيان، 2 /327.

بعيدان من داخلها وأن يلقوا السيوف في المناطق ويكتبوا على ظهورها: {فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ} [البقرة: ١٣٧]، فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزي فقال له أبو جعفر ما حالك قال شر حال وجهي في وسطي وسيفي في استي وقد صبغت بالسواد ثيابي ونبذت كتاب الله وراء ظهري فضحك منه وأعفاه وحذره من ذلك وقال له: إياك أن يسمع منك هذا أحد وفي ذلك يقول أبو دلامة:

(وكنا نرجي منحة من إمامنا ::: فجاءت بطول زاده في القلانس)
(تراها على هام الرجال كأنها ::: دنان يهود جللت بالبرانس) [1]

اجعلوها كلها عامرة:

دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدته التي أولها

(إن الخليط أجد البين فانتجعوا ::: وزودوك خبالا بئس ما صنعوا)

إلى أن قال فيها يهجو زوجته

(لا والذي يا أمير المؤمنين قضى ::: لك بالخلافة في أسبابها الرفع)
(ما زلت أخلصها كسبي فتأكله ::: دوني ودون عيالي ثم تضطجع)
(شوهاء مشنية في بطنها بجر ::: وفي المفاصل من أوصالها فدع)
(ذكرتها بكتاب الله حرمتنا ::: ولم تكن بكتاب الله ترتدع)
(فاخر نظمت ثم قالت وهي مغضبة ::: أأنت تتلو كتاب الله يا لكع)
(اخرج لتبغ لنا مالا ومزرعة ::: كما لجيراننا مال ومزدرع)
(واخدع خليفتنا عنا بمسألة ::: إن الخليفة للسؤال ينخدع)

فضحك المنصور وقال أرضوها عنه واكتبوا لها ستمائة جريب عامرة وغامرة فقال: أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف وإن شئت زدتك فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة[2].

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 /211.
(2) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 /212.

ولم أبحث عنك:

وشهد أبو دلامة لجارة له عند ابن أبي ليلى القاضي على أتان نازعها فيه رجل فلما فرغ من الشهادة قال لابن أبي ليلى اسمع ما قلت قبل أن آتيك ثم اقض بما شئت قال هات فأنشده:

(إن الناس غطوني تغطيت عنهم ::: وإن بحثوا عني ففيهم مباحث)
(وإن حفروا بئري حفرت بئارهم ::: ليعلم يوما كيف تلك النبائت)

فأقبل القاضي على المرأة وقال: أتبيعينني الأتان، قالت: نعم، قال: بكم قالت بمائة درهم قال ادفعوها إليها ففعلوا وأقبل على الرجل فقال: قد وهبتها لك وقال لأبي دلامة: قد أمضيت شهادتك، ولم أبحث عنك، وابتعت ممن شهدت له ووهبت ملكي لمن رأيت أرضيت قال نعم وانصرف[1].

ولا رباك لقمان الحكيم:

ودخل أبو عطاء السندي يوما إلى أبي دلامة فاحتبسه ودعا بطعام وشراب، فأكلا وشربا، وخرجت إلى أبي دلامة صبية له فحملها على كتفه فبالت عليه فنبذها عن كتفه ثم قال:

(بللت علي لأحييت ثوبي ::: فبال عليك شيطان رجيم)
(فما ولدتك مريم أم عيسى ::: ولا رباك لقمان الحكيم)

ثم التفت إلى أبي عطاء فقال له: أجزيا أبا عطاء فقال:

(صدقت أبا دلامة لم تلدها ::: مطهرة ولا فحل كريم)
(ولكن قد حوتها أم سوء ::: إلى لباتها وأب لئيم)

فقال له أبو دلامة: عليك لعنة الله ما حملك على أن بلغت بي هذا كله والله لا أنازعك بيت شعر أبدا، فقال له: أبو عطاء يكون الذي من جهتك أحب إلي ثم غدا أبو دلامة إلى المنصور فأخبره بقصة ابنته؟ وأنشده

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 /213.

الأبيات ثم اندفع فأنشده بعدها:

(لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ::: قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس)
(ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم ::: إلى السماء فأنتم أكرم الناس)
(وقدموا القائم المنصور رأسكم ::: فالعين والأنف والأذنان في الراس)

فاستحسنها وقال بأي شيء تحب أن أعينك على قبح ابنتك هذه؟

فأخرج خريطة (جراب) قد خاطها من الليل وقال: تملأ لي هذه دراهم فوسعت أربعة آلاف درهم [1].

كان لي مكرما وهو الذي جاءني من البدو:

ولما توفي أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس يعزونه فأنشأ أبو دلامة يقول:

(أمسيت بالأنبار يا ابن محمد ::: لم تستطع عن عقرها تحويلا)
(ويلي عليك وويل أهلي كلهم ::: ويلا وعولا في الحياة طويلا)
(فلتبكين لك السماء بعبرة ::: ولتبكين لك الرجال عويلا)
(مات الندى إذ مت يا ابن محمد ::: فجعلته لك في التراب عديلا)
(إني سألت الناس بعدك كلهم ::: فوجدت أسمح من سألت بخيلا)
(ألشقوتي أخرت بعدك للتي ::: تدع العزيز من الرجال ذليلا)
(فلأحلفن يمين حق برة ::: بالله ما أعطيت بعدك سولا)

فأبكي الناس قوله، وغضب المنصور غضبا شديدا وقال: لئن سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك، فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين إن أبا العباس كان لي مكرما، وهو الذي جاءني من البدو كما جاء الله عز وجل بإخوة يوسف عليه السلام إليه فقل أنت كما قال يوسف:{لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ } [يوسف: ٩٢]، فسري عن المنصور وقال قد أقلناك يا أبا دلامة فسل حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا، وهو

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 /215.

مريض، ولم أقبضها، فقال المنصور ومن يعلم ذلك، قال هؤلاء: وأشار إلى جماعة ممن حضر، فوثب سليمان بن مجالد، وأبو الجهم، فقالا: صدق يا أمير المؤمنين، فنحن نعلم ذلك، فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ يا سليمان: ادفع إليه وسيره إلى هذا الطاغية، يعني عبد الله بن علي، وكان قد خرج علي الخليفة المنصور بناحية الشام، وأظهر الخلاف فوثب أبو دلامة فقال: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن أخرج معهم، فإني والله لمشؤوم، فقال له المنصور: امض فإن يمني يغلب شؤمك، فاخرج، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجرب ذلك مني على مثل هذا العسكر فإني لا أدري أيهما يغلب يمنك، أو شؤمي، إلا أني بنفسي أدرى وأوثق وأعرف وأطول تجربة، فقال: دعني من هذا، فما لك من الخروج، بد قال فإني أصدقك الآن شهدت والله تسعة عشر عسكرا، كلها هزمت وكنت سببها فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين، فافعل فاستفرغ المنصور ضحكا، وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة [1].

ولا الثناء على دينه بمحمود:

وعزم موسى بن داود على الحج فقال لأبي دلامة: احجج معي ولك عشرة آلاف درهم فقال هاتها فدفعت إليه، فأخذها، وهرب إلى السواد فجعل ينفقها هناك ويشرب الخمر وطلبه موسى، فلم يقدر عليه وخشى فوات الحج فخرج، فلما شارف القادسية، إذا هو بأبي دلامة خارجا من قرية إلى قرية أخرى وهو سكران، فأمر بأخذه، وتقييده وطرحه في المحمل بين يديه ففعل به ذلك فلما سار غير بعيد أقبل أبو دلامة على موسى وناداه بقوله:

(يا أيها الناس قولوا أجمعين معا ::: صلى الإله على موسى بن داود)
(كأن ديباجتي خديه من ذهب ::: إذا بدا لك في أثوابه السود)

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 /215.

(إني أعـــوذ بـــداود وأعظمـــه ::: من أن أكلف حجا يـا بـن داود)
(أنبئت أن طريـق الحـج معطشـة ::: من الشراب وما شـربي بتصـريد)
(والله مـا في مـن أجـر فتطلبـه ::: ولا الثناء علـى ديـني بمحمـود)

فقال موسى: ألقوه لعنه الله عن المحمل ودعوه ينصرف، فألقى وعاد إلى قصفة بالسواد حتى نفدت العشرة آلاف[1].

نار الله المؤصدة التي تطلع على فؤاد الربيع:

ودخل أبو دلامة يوما على المنصور فأنشده:

(رأيتك في المنام كسـوت جلـدي ::: ثيابـا جمـة وقضـيت ديـني)
(وكـان بنفسـجي الخـز فيهـا ::: وسـاج نـاعم فـأتم زيـني)
(فصدق يا فـدتك الـنفس رؤيـا ::: رأتهـا في المنـام كـذاك عـيني)

فأمر بذلك، وقال: لا عدت تتحلم علي ثانية، فأجعل حلمك أضغاثا ولا أحققه ثم خرج من عنده ومضى، فشرب في بعض الحانات، فسكر وانصرف وهو ثمل فلقيه العسس، فأخذ فقيل له: من أنت وما دينك فقال:

ديـني علـى ديـن بـني العبـاس ::: ما خـتم الطـين علـى القرطـاس
إذا اصـطبحت أربعـا بالكـاس ::: فقـد أدار شـربها براسـي
فهـل بمـا قلـت لكـم مـن بـاس

فأخذوه ومضوا، به فخرقوا أثوابه وساجه، وأتوا به إلى المنصور، وكان يؤتى بكل من أخذه العسس، فحبسه مع الدجاج في بيت، فلما أفاق جعل ينادي غلامه مرة وجاريته مرة، فلا يجيبه أحد وهو مع ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاء الديكة، فلما أكثر قال له السجان: ما شأنك، قال: ويلك من أنت وأين أنا، قال: في الحبس وأنا فلان السجان، قال: ومن حبسني، قال أمير المؤمنين: قال: ومن خرق طيلساني، قال: الحرس، فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس ففعل فكتب إلى المنصور:

(أمـير المـؤمنين فـدتك نفسـي ::: عللام حبستني وخرقـت سـاجي)

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 /218.

(أمن صهباء صافية المزاج ::: كأن شعاعها لهب السراج)
(وقد طبخت بنار الله حتى ::: لقد صارت من النطف النضاج)
(تهش لها القلوب وتشتهيها ::: إذا برزت ترقرق في الزجاج)
(أقاد إلى السجون بغير جرم ::: كأني بعض عمال الخراج)
(ولو معهم حبست لكان سهلا ::: ولكني حبست مع الدجاج)
(وقد كانت تخبرني ذنوبي ::: بأني من عقابك غير ناجي)
(على أني وإن لاقيت شرا ::: لخيرك بعد الشر راجي)

فدعا به، وقال له: أين حبست يا أبا دلامة، فقال: مع الدجاج، قال: فما كنت تصنع، قال: أقوقئ معهم حتى أصبحت فضحك، وخلى سبيله، وأمر له بجائزة فلما خرج قال له الربيع: أنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين، أما سمعت قوله وقد طبخت بنار الله يعني الشمس فأمر برده، ثم قال له: يا خبيث شربت الخمر، قال: لا، قال: أفلم تقل طبخت بنار الله، تعني الشمس، قال: لا والله، ما عنيت إلا نار الله الموصدة التي تطلع على فؤاد الربيع، فضحك، وقال: خذها يا ربيع ولا تعاود التعرض له[1].

له لو حدثت الشيطان لأضحكته :

ودخل أبو دلامة على أم سلمة زوج السفاح بعد موته فعزاها به، وبكى فبكت معه، فقالت أم سلمة: لم أجد أحدا أصيب به غيري وغيرك يا أبا دلامة قال: ولا سواء يرحمك الله لك منه ولد، وما ولدت أنا منه قط، فضحكت، ولم تكن ضحكت منذ مات السفاح إلا ذاك الوقت، وقالت له: لو حدثت الشيطان لأضحكته[2].

فلا تفرح فقد دنت القيامة:

دخل أبو دلامة على المهدي وعنده جماعة من بني هاشم، فقال المهدي

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 /220.
(2) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 /220.

له: أنا أعطي الله تعالى عهدا لئن لم تهج واحدا ممن في البيت لأضربن عنقك فنظر إليه القوم وغمزوه بأن عليهم رضاه، قال أبو دلامة: فعلمت أني وقعت وإنها عزمة من عزماته، ولا بد منها فلم أر أحدا أحق بالهجاء مني، ولا أدعى إلى السلامة من هجائي نفسي فقلت:

(إلا أبلغ لديك يا أبا دلامة ::: فليس من الكرام ولا كرامة)
(إذا لبس العمامة قلت قردًا ::: وخنزيرًا إذا وضع العمامة)
(جمعت دمامة وجمعت لؤما ::: كذاك اللؤم تتبعه الدمامة)
(فإن تك قد أصبت نعيم دنيا ::: فلا تفرح فقد دنت القيامة)

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه [1].

فهنيئا لهما كل امرىء يأكل زاده:

وخرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصيد فسنح لهما قطيع من ظباء فأرسلت الكلاب، وأجريت الخيل، فرمى المهدي سهما فصرع ظبيا، ورمى علي بن سليمان فأصاب كلبا فقتله فقال في ذلك أبو دلامة

قد رمى المهدي ظبيا ::: شك بالسهم فؤاده
وعلي بن سليمان ::: رمى كلبا فصاده

فهنيئا لهما كل امرئ يأكل زاده

فضحك المهدي حتى كاد يسقط عن سرجه وقال: صدق والله أبو دلامة وأمر له بجائزة ولقب علي بن سليمان بصائد الكلب فعلق به[2].

حمادة بنت عيسى:

وتوفيت حمادة بنت عيسى وحضر المنصور جنازتها فلما وقف على حفرتها قال لأبي دلامة: ما أعددت لهذه الحفرة، قال: بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه.

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 /221.
(2) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 /222.

على أن تخبأها لي بين السماء والأرض:

وحدث الهيثم بن عدي قال: حجت الخيزران، فلما خرجت صاح أبو دلامة جعلني الله فداك الله، الله في أمري فقالت: من هذا؟ قالوا: أبو دلامة قالت: اسألوه ما أمره؟ قال: أدنوني من محملها، فأدني، فقال: أيها السيدة إني شيخ كبير وأجرك في عظيم، قالت: فمه، قال: تهبين لي جارية من جواريك، تؤنسني وترفق بي وتريحني من عجوز عندي قد أكلت رفدي، وأطالت كدي، فقد عاف جلدي جلدها وتمنيت بعدها وتشوقت فقدها فضحكت، وقالت: سوف آمر لك بما سألت فلما رجعت تلقاها واذكرها، وخرج معها إلى بغداد، وأقام حتى سئم، ثم دخل على عبيدة حاضنة موسى وهارون فدفع إليها رقعة قد كتبها إلى الخيزران فيها:

(أبلغي سيدتي بالله ::: يا أم عبيدة)
(أهلا أرشدها الله ::: وإن كانت رشيدة)
(وعدتني قبل أن تخرج ::: للحج وليدة)
(فتأتيت وأرسلت ::: بعشرين قصيدة)
(كلما أخلقن أخلفت ::: لها أخرى جديدة)
(ليس في بيتي لتمهيد ::: فراشي من قعيدة)
(غير عجفاء عجوز ::: ساقها مثل القديدة)
(وجهها أقبح من حوت ::: طري في عصيده)
(ما حياتي مع أنثى ::: مثل عرسي بسعيده)

فلما قرئت عليها الأبيات ضحكت، واستعادت قوله وجهها أقبح من حوت إلى آخره، وجعلت تضحك، ودعت بجارية من جواريها فائقة، فقالت لها: خذي كل ما لك في قصري، ففعلت، ثم دعت بخادم وقالت له: سلمها إلى أبي دلامة فانطلق الخادم بها، فلم يصبه في منزله، فقال لامرأته: إذا رجع فادفعيها إليه، وقولي له تقول لك السيدة أحسن صحبة هذه الجارية، فقد آثرتك بها فقالت له: نعم فلما خرج دخل إليها ابنها دلامة، فوجد أمه تبكي، فسألها عن خبرها فأخبرته، وقالت: إن أردت أن

تبرني يوما من الدهر، فاليوم قال: قولي ما شئت فإني أفعله، قالت: تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها فتطؤها وتحرمها عليه، وإلا ذهبت بعقله وجفاني وجفاك، ففعل ودخل على الجارية، فوطئها، ووافقها ذلك منه وخرج، ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته: أين الجارية، فقالت: في ذلك البيت، فدخل إليها شيخ محطم ذاهب، فمد يده إليها، وذهب ليقبلها، فقالت له: ما لك، ويلك، تنح عني وإلا لطمتك لطمة دققت بها أنفك، فقال: أبهذا أوصتك السيدة؟ فقالت: إنها بعثت بي إلى فتى من حاله وهيئته كيت وكيت، وقد كان عندي آنفا، ونال مني حاجته، فعلم أنه قد دهى من أم دلامة وابنها، فخرج إلى دلامة فلطمه، وتلبب به، وحلف أنه لا يفارقه إلا إلى المهدي، فمضى به متلببا، حتى وقف على باب المهدي، فعرف خبره، وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة، فأمر بإدخاله، فلما دخل قال له: ما لك؟ ويلك، قال: عمل هذا الخبيث ابن الخبيثة ما لم يعمله ولد بأبيه، ولا يرضيني إلا أن تقتله، فقال: ويلك فما فعل بك فأخبره الخبر، فضحك حتى استلقى على قفاه، ثم جلس، فقال له: أبو دلامة أعجبك فعله، فتضحك منه، فقال: علي بالسيف والنطع، فقال له دلامة: قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين فاسمع حجتي، قال: هات، قال: هذا الشيخ أصفق الناس وجها، وهو يجامع أمي منذ أربعين، ما غضبت، جامعت أنا جاريته مرة واحدة فغضب، وصنع بي ما ترى، فضحك المهدي أشد من ضحكة الأول، ثم قال: دعها له، وأنا أعطيك خيرا منها، قال على: أن تخبأها لي بين السماء والأرض وإلا جامعها والله كما جامع هذه، فتعهد المهدي إلى أبي دلامة ألا يعاود دلامة مثل فعله، وحلف أنه إن عاود قتله، وأمر له بجارية أخرى كما وعده[1].

حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم:

ودخل أبو دلامة على المهدي، وسلمه الوصيف واقف فقال: إني قد

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 /223 - 224.

أهديت لك يا أمير المؤمنين مهرا ليس لأحد مثله، فإن رأيت أن تشرفني بقبوله فأمر بإدخاله إليه فخرج أبو دلامة، وأدخل فرسه الذي كان تحته، فإذا هو برذون محطم أعجف هرم، فقال له المهدي: أي شيء ويلك هذا ألم تزعم أنه مهر؟ فقال له: أو ليس هذا سلمة الوصيف بين يديك، قائما تسميه الوصيف، وله ثمانون سنة وهو بعد عندك وصيفا، فإن كان سلمة وصيفا، فهذا مهر فجعل سلمة يشتمه والمهدي يضحك ثم قال لسلمة: ويحك إن لهذه منه أخوات، وإن أتى بمثلها في محفل يفضحك، فقال أبو دلامة: أي والله يا أمير المؤمنين لأفضحنه، فليس في مواليك أحد إلا وقد وصلني غيره، فإني ما شربت له الماء قط، قال: فقد حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك، قال: قد فعلت على ألا يعاود، قال: أفعل ولولا أني ما أخذت منه شئيا قط ما استعملت معه مثل هذا فمضى سلمة فحملها إليه وسلمه إياها [1].

فتعاونوني عليه حتى أخصيه:

وجاء دلامة يوما إلى أبيه، وهو في محفل من جيرانه وعشيرته جالسا فجلس بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم: إن شيخي كما ترون قد كبر سنه ودق عظمه وبنا إلى حياته حاجة شديدة، ولا أزال أشير عليه بالشيء يمسك رمقه ويبقي قوته فيخالفني، وإني أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته، فأسعفوني بمسألته معي فقالوا: نفعل وحبا وكرامة، ثم أقبلوا على أبي دلامة بألسنتهم، فتناولوه بالعتاب حتى رضي ابنه وهو ساكت، فقال: قولوا لهذا الخبيث فليقل ما يريد فستعلمون أنه لم يأت إلا ببلية فقالوا: قل فقال: إن أبي ما يقتله إلا كثرة الجماع، فتعاونوني عليه حتى أخصيه، فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء، فيكون أصح لجسمه وأطول لعمره، فعجبوا مما أتى به وعلموا أنه أراد أن يعبث بأبيه ويخجله حتى يشيع ذلك عنه،

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 /224.

ويرتفع له به ذكر، فضحكوا منه، ثم قالوا لأبي دلامة: قد سمعت فأجب، قال: قد سمعتهم أنتم وعرفتم أنه لم يأت بخير، قالوا: فما عندك في هذا قال: قد جعلت أمة حكما بيني وبينه، فقوموا بنا إليها، فقاموا بأجمعهم، ودخلوا إليها وقص أبو دلامة القصة عليها، وقال: قد حكمتك فأقبلت على الجماعة، فقالت: إن ابنى هذا أبقاه الله فد نصح أباه وبره، ولم يأل جهدا، وما أنا إلى بقاء، أبيه بأحوج منى إلى بقائه وهذا أمر لم تقع به تجربة ولا جرت بمثله عادة، ولا أشك في معرفته بذلك فليبدأ بنفسه أولا فليخصها، فإذا عوفى ورأينا ذلك قد أثر عليه أثرا محمودا استعمله أيضا، فجعل أبوه يضحك منه، وخجل ابنه دلامة، وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خبثهم جميعا واتفاقهم في ذلك المذهب [1].

أفلت من بلاء عظيم:

دخل ابو دلامة على المهدى فأنشده قصيدته في بغلته المشهورة يهجوها ويذكر معايبها فلما أنشده قوله:

(أتاني خائب يستام مني ::: عريقا في الخسارة والضلال)
(فقال تبيعها قلت ارتبطها ::: بحكمك إن بيعي غير غالي)
(فأقبل ضاحكا نحوي سرورا ::: وقال أراك سهلا ذا جمال)
(هلم إلي يخلو بي خداعا ::: وما يدري الشقي لمن يخالي)
(فقلت بأربعين فقال أحسن ::: إلي فان مثلك ذو سجال)
(فأترك خمسة منها لعلمي ::: بما فيه يصير من الخبال)

فقال له المهدي: لقد أفلت من بلاء عظيم، فقال: والله يا أمير المؤمنين، لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردها علي. ثم أنشده:

(فأبدلني بها يا رب طرفا ::: يكون جمال مركبه جمالي)

فقال المهدي لصاحب دوابه خيره بين مركبين من الإصطبل، فقال:

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 /225.

يا أمير المؤمنين إن كان الاختيار إلي وقعت في شر من البغلة ولكن مره أن يختار لي فقال: اختر له [1].

ما أفلح قط:

وكان أبو العباس السفاح مولعاً بأبي دلامة، لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً لكثرة نوادره وجودةً شعره، ومعرفته بأيام الناس وأخبارهم؛ وكان أبو دلامة يهرب منه جهده، ويأتي حانات الخمارين فيشرب مع إخوانه من الشعراء، وكان يحب مجالستهم وتهرب من مؤانستنا؟ فقال: والله يا أمر المؤمنين؛ إن الفضل والشرف والعز والخير كله في الوقوف ببابك ولزوم خدمتك، ولا نكره كما ذكرت، ولا مللتك قط، وإنك لتعلم ذلك، ولكنك قد اعتدت حانات الخمارين، ومجالسة أهل المجون. ثم أمره بلزوم قصره، ووكل به من يمنعه الخروج، وأمره بملازمة المسجد الذي يصلي فيه السفاح، حتى أضر به فقال:

ألم تعلموا أنّ الخليفة لزّمني ::: بمسجده والقصر، ما لي وللقصر!
أُصلّي به الأولى مع العصر آيساً ::: فويلي من الأولى وويلي من العصر
ويحبسني عن مجلسٍ أستلذّه ::: أعلّل فيه بالسماع وبالخمر
ووالله ما لي نيّةٌ في صلاته ::: ولا البرّ والإحسان والخير من أمري
وما ضرّه، والله يصلح أمره ::: لو أنّ ذنوب العالمين على ظهري

فلما بلغت الأبيات السفاح قال: دعوه وشأنه، فوالله ما أفلح قط[2].

ولكن هذا بديع يريد الهروب:

وخرج الربيع إلى أصحاب المنصور وهم بالباب، وقد هرب منه سلم غلامه، فقال لهم: أمير المؤمنين يقرئكم السلام، ويقول لكم: إن غلامي سلماً قد هرب، ومحال أن يهرب أحد من غلماني إلا وقد أسند أمره إلى واحد منكم.

فقام أبو دلامة فقال: بلغ عنا أمير المؤمنين كما بلغتنا عنه. قال: نعم! قال:

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 /227.
(2) الحُصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص 43.

أما سلم فلا نعرف خبره ولا قصته، ولكن هذا بديع يريد الهروب، فرأى أمير المؤمنين في أخذه، وكان بينه وبين بديع تباعد، فبلغ ذاك المنصور فهرب[1].

لأنك لا تعرف المدح من الهجاء:

اختصم أبو دلامة مع رجل إلى عافية قاضى أبي جعفر المنصور، فادعى الرجل عليه، فقال له القاضي: ما تقول؟ قال: اسمع أولاً، وأنشأ يقول:

لقد خاصمتني دهاة الرجال ::: وخاصمتها سنة وافيه
فما أدحض الله لي حجةً ::: ولا خيب الله لي قافيه
فمن خفت من جوره في القضاء ::: فلست أخافك يا عافيه

فغضب وقال: لأشكونك إلى أمير المؤمنين. قال أبو دلامة: ولم تشكوني؟ قال: لأنك هجوتني قال: إذن والله يعزلك. قال عافية: ولم يعزلني؟ قال: لأنك لا تعرف المدح من الهجاء.

كيف يكون عجانه في ظهره؟ :

أنشد أبو دلامة أبا جعفر المنصور شعراً استحسنه جداً، فجعل من عنده من ندمائه يظهرون استحسانه، فلما أفرطوا قال أبو دلامة: والله يا أمير المؤمنين إنهم لا يعرفون رديئه من جيده، وإنما يستحسن منه باستحسانك، وإن شئت بينت لك ذلك، قال: افعل. فأنشده:

أنعت مهراً كاملا في قدره ::: مركباً عجانه في ظهره

حتى فرغ منها، فاستحسنوها، فقال أبو دلامة: ألم أخبرك يا أمير المؤمنين؟ قال المنصور: صدق والله أبو دلامة، كيف يكون عجانه في ظهره؟ [2].

(1) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ص 146.
(2) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص 13.

فر من الموت وفي الموت وقع:

وقال أبو دلامة: كنت مع مروان أيام الضحاك الحروري، فخرج فارس منهم فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم ثان فقتله، ثم ثالث فقتله فانقبض الناس عنه وجعل يدنو ويهدر كالفحل المغتلم. فقال مروان: من يخرج إليه وله عشرة آلاف؟ قال: فلما سمعت عشرة آلاف هانت علي الدنيا وسخوت بنفسي في سبيل عشرة آلاف وبرزت إليه، فإذا عليه فرو قد أصابه المطر فارمعل، ثم أصابته الشمس فاقفعل، وله عينان تتقدان كأنهما جمرتان. فلما رآني فهم الذي أخرجني، فأقبل نحوي وهو يرتجز ويقول:

وخارج أخرجه حب الطمع ::: فر من الموت وفي الموت وقع

" من كان ينوي أهله فلا رجع "

فلما رأيته قنعت رأسي، ووليت هارباً، ومروان يقول: من هذا الفاضح؟ لا يفتكم، فدخلت في غمار الناس [1].

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا:

سأل أبو جعفر المنصور أبا دلامة فقال: أي بيت قالته العرب أشعر؟ قال: بيت يلعب به الصبيان، قال: وما هو ذلك؟ قال: قول الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ::: وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل[2]

فأراني ميتاً ولا أدري:

ويروى أن أبا دُلامة الشاعر دخل على المنصور أو المهدي وعليه جبّةٌ فاخرة، فقال: ما هذه الجبة يا أبا دلامة؟ فقال: هذه لا ألبسُها إلا في كل موتِ خليفةٍ، قال: فأراني ميتاً ولا أدري.

حتى تذهب حمياها:

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1 /74.
(2) المبرد، الفاضل، 15/1.

وقال السفاح لأبي دلامة: الصلاة. فقال: حتى تذهب حمياها. قال: وما حمياها؟ قال: الركعتان الأولتان لأنهما أطول[1].

* * *

(1) المبرد، الفاضل، 16/1.